المعلم

الجزء ٦ و٧ و٨ السنة الرابعة

مجلة علمية تهذيبية تاريخية صحية

الاسكندرية ـ الجزء السادس ـ سنة ١٩٠٣ م ـ سنة ١٣٢١ هـ

رنان في آخر عمره

مشاهير المتقدمين والمتأخرين

الفيلسوف رنان

« الاحتفال في الشهر السابق بنصب تمثاله في فرنسا »

مثال الفيلسوف الكامل

لم نكد نفرغ في الجزء السابق من تفصيل الاحتفال بنصب تمثال الفيلسوف جول سيمون حتى قامت الضجة في فرنسا لنصب تمثال الفيلسوف ارنست رنان في بلدة « تريجيه » مسقط رأسه (١) وقد ذكرت الشركات البرقية هذا الحادث في حينه ليس فقط لسمو منزلة الرجل بل لان ناصبي التمثال جعلوا له معنىً خصوصياً خيف ان يحدث بسببه اضطراب في بريطانيا . واليك البيان

من المشهور ان مقاطعات بريطانيا الفرنسوية شديدة التمسك بالتقاليد الدينية القديمة . وقد ولد رنان فيها في بلدة « تريجيه » التي تقدم ذكرها . ولا يزال منزله فيها كعبة يحجُّ اليها الاوروبيون والاميركيون ليشاهدوا الجدران التي تحركت ضمنها روح افلاطون المتأخرين وكبير حكماء الفلسفة الادبية والدينية في العالم . فبسبب ما قام في فرنسا بين الحزب الجمهوري والحزب الاكليريكي في العامين الماضيين وانتصار البريطانيين للحزب الاكليريكي انتصاراً شديداً كاد يفضي الى ثورة اهلية في بريطانيا حين اقفال مدارسها الاكليريكية الغير المأذونة ـ خطر لابناء بريطانيا الجمهوريين ان ينصبوا تمثالاً لرنان في مسقط رأسه ليوجدوا بين البريطانيين حركة تدفعهم عن المبادىء الاكليريكية الى المبادىء الجمهورية . وهؤلاء الجمهوريون البريطانيون يُدعون « البريطانيين الزرق » تمييزاً لهم عن « البريطانيين البيض » وهم المخالفون لهم في السياسة . فالَّف « البريطانيون الزرق » لجنةً لجمع المال وانشاء التمثال فنشرت اللجنة اعلاناً بغرضها بين جميع مشاهير الارض فوردتها الاموال ورسائل

---

١ اطلب ترجمته في الجزء الثاني السنة الثالثة

الاشتراك من كل الجهات : وقد كان المشتركون معها من كل الاحزاب العاقلة المتساهلة كاثوليك وانجيليين واسرائيليين وفلاسفة . وفي جملتهم المؤرخ ممسن اعظم علماء الالمان اليوم والعالم جبرائيل مونود اعظم علماء البروتستانت في فرنسا والمسيو ربيو الكاثوليكي الذي امتاز في فرنسا بالعامين الاخيرين بالانتصار للحزب الاكليريكي صوناً لمبداء الحرية والجمهورية وهو من رؤساء الوزارات السابقين . والمسيو والدك روسو المشهور . وكثيرون من علماء الارض من كل البلاد . وكلهم كتبوا الى اللجنة كتباً خلاصتها ان الانسانية وفرنسا يحق لهما ان تفتخرا بظهور رجل فيهما نزيه الاخلاق واسع العلم مترفعاً عن دنايا الارض مثل ارنست رنان . وقد جمعت اللجنة هذه الرسائل كلها في كتاب ضخم دعته " كتاب رنان الذهبي " لانه عبارة عن شهادة له من مئات من اكابر علماء الارض وعقلائهم بصفات علمية وفلسفية وادبية لم تُنسب لغيره من عهد افلاطون . ولذلك دعوه " افلاطون المتأخرين "

***

رنان والاحزاب ومن البديهي ان الرغبة في نصب تمثال رنان في بريطانيا اسخط الحزب الاكليريكي . فكتب كاهن تريجيه الى شيخ البلدة يقول له انهم اذا جرّوا هذا العار والفضيحة على تريجيه فانه يمتنع عن الدخول الى الشارع الذي يُنصب فيه التمثال حتى اذا حضرت الوفاة احد المسيحيين في ذلك الشارع لم يستطع الذهاب اليه لتزويده بالاسرار المقدسة . فعدلوا حينئذ عن نصب التمثال امام منزل رنان وقرروا نصبه في ساحة الكنيسة امام بابها الكبير . فازداد الخصام والانقسام بين الحزبين في فرنسا كلها وصار اسم رنان عبارة عن راية يتحاربان تحتها

على اننا بعد مطالعة ما طالعناه من كتب رنان يظهر لنا انه لو كان حياً لما رضي باقامة تمثاله في تريجيه بهذه الطريقة وان كان يحب مسقط رأسه حباً بريطانياً كما كان يقول . ذلك لانه كان يحب الحرية والتساهل فوق كل شيء . واقامة تمثاله في تريجيه بتلك الطريقة كانت عبارة عن تحرش بمعتقدات الغير واعتداء عليها . وهذا ما ذكرته الطائفة البروتستنتية والدينا الكاثوليكية . فانهما قالتا ان رنان كان رسول التساهل وحرية الاعتقاد في العالم ومن كانت هذه صفته لا يرضى عن الاساءة الى معتقد غيره

وتقسم الاحزاب الفرنسوية اليوم الى سبعة (١) الحزب الراديكالي (٢) الراديكالي الاشتراكي (٣) الاشتراكي (٤) الحزب الجمهوري المعتدل المخالف للراديكالي (٥) الحزب الجمهوري المعتدل المستقل ولكنه يميل نحو الحزب الملكي اكثر من الميل الى الحزب الراديكالي

الاشتراكي لخوفه من المبادىء الاشتراكية (٦) الحزب الملكي الاكليريكي (٧) حزب الناسيوناليست ـ فالاربعة الاحزاب الاولى وهي الاكثرية الكبرى ألّفت ما سمود « عصبة » واقامت وزارة على مبادئها لادخال الاصلاحات التي ترى لزومها . فهذه الاحزاب الاربعة هي التي كانت تضجّ في اثناء الاستعداد للاحتفال برنان وتحارب خصومها بالدفاع عنه . فكانت الطان والدبا اللتان هما لسان حال الحزب الجمهوري المعتدل المستقل (الخامس) تضحكان وتقولان لهم ان مبادىء رنان لا تنطبق على مبادئكم

***

رنان والجمهورية ذلك ان رنان عاش ومات بين الاحزاب . فلم يكن منسوباً لاحدها . يروى ان سقراط الحكيم سُئل من اي وطن انت ؟ وربما رام سائله تعييره بذلك لانه كان يدعو الى وحدانية الله وهذه الدعوة مخالفة لتعدد الآلهة عند اليونانيين وكان عندهم من يسيء الى الآلهة فقد اساء الى وطنه . فاجاب سقراط « وطني العالم » ـ وكذلك لو سُئل رنان في حياته : ما هو حزبك ؛ لاجاب ولا شك : حزبي البشر كلهم لانني اخ لهم جميعاً لا لفريق منهم

وهذا هو السبب في انك ترى في افكار رنان شيئاً كثيراً من التناقض . فانه يبشّر للملكي والجمهوري . والجاحد والمؤمن . والقديم والحديث . والتعصب والتساهل . ذلك ان فكره واسع رحب يستطيع فهم كل ما في تلك المتناقضات من الجمال والحقائق . فيذكر محاسنها ومساوئها معاً باستقلال تام وانصاف كامل كانه واقف امام الدينونة الاخيرة . وهذا معنى قولنا عنه في صدر الكلام انه مثال الفيلسوف الكامل

ولقد ندّد رنان في الجمهورية والديموقراطية بعد حرب السبعين لان الغلاة اتوا فيها كثيراً من المنكرات التي اغضبته . وفضلاً عن ذلك فذوقه ارستوقراسي نحيف ولذلك كان يودّ لو تكون حكومة البشر ملقاة الى عصبة من العلماء والفلاسفة ويكون ملكها عالماً ايضاً وغاية في الكمال . ولكنه لما رأى بالخبرة ان العلم يترقى مع الجمهورية اكثر مما يترقى مع الملكية لان الجمهورية تُطلق له الحرية والملكية قد تقيده بقيود حديدية صار يفضل الجمهورية . وعلى ذلك فحرية العلم اي حرية الفكر والنشر مقياس الافضلية عنده . ورأيه في ذلك مبسوط في كتابه (المباحثات الفلسفية) الذي كتبه في آخر حياته . ففي احدى مباحثات هذا الكتاب قصة كاليبان وبروسبيرو . وبروسبيرو هذا هو ملكه العاقل الكامل . واما كاليبان فهو رجل قاصر مشوه الدماغ وهو كناية عن الشعب . فقام كاليبان واسقط بروسبيرو عن

ملكه وحل محلّه قبل ان ينضج رأيه وتصلح حاله . قال رنان ,, انني احب بروسبيرو ولكنني لا احب الذين يريدون ارجاعه الى ملكه . فان كاليبان (مع حالته القاصرة) ينفعنا اكثر من بروسبيرو اذا عاد الينا على يد الجزويت والجنود الحبرية . ذلك لان عودته تكون ضغطاً علينا لا نهضة لنا . اذاً فلنبق كاليبان ,,

***

الله والدين ورنان وانما قالت الطان والدببا للاحزاب الفرنسوية المتطرفة ذلك القول لان رنان يرى في الله والدين ما لا تراه هي . ويحسن بنا هنا ان ننقل شيئاً من آرائه في هذه المواضيع الخطيرة لعلّ الذين تعلموا من الغرب سب رنان في الشرق تدعوهم ذمتهم الى الاعتدال والانصاف ولو قليلاً

قالت جريدة الدببا الكاثوليكية ان رنان خدم الروح الديني في العالم خدمة ما بعدها خدمة . فانه هدم ,, روح فولتير ,, هدماً . تعني روح التهكم على الاديان والمذاهب واعتبارها اساطير قديمة . وانما هدم رنان تلك الروح بشيئين : الاول اعتماده في كتابته تاريخ الديانة المسيحية على الكتب المسيحية نفسها . والثاني تعليمه الناس احترام الامور الدينية واظهاره جمال العواطف الصادرة عنها . ولذلك قالت جريدة الطان ان الذي نشّط الحركة الدينية في العالم وزادها اتساعاً هو رنان . فان كل قارئ لا يتمالك ان يطير طرباً كلما قرأ ذلك الكلام اللين الحلو الممتلئ روحاً دينياً وتتشبع نفسه منه . وهكذا نشأ متأدّبو العصر على احترام العواطف الدينية ووضعها في اسمى منزلة في نفوسهم بعد ان كان لا همّ لهم الا التهكم عليها واحتقارها . وبذلك حلّت ,, الروح الرنانية ,, محل ,, الروح الفولتيرية ,,

واليك بعض الامثلة لذلك

قال رنان في خاتمة كتابه « اعمال الرسل » ان الانسان حيوان ديّن اي مفطور على الدين . وكلما ارتقت الانسانية ازداد شعوره الديني . وقد شرح ذلك هناك شرحاً وافياً . وهذا الرأي مخالف رأي الماديين والوضعيين على خط مستقيم

وقال في منتخباته ما ملخصه « انه لما كان في غزير (لبنان) نزل ضيفاً على احدى الاسر الكبيرة هناك . فلما قامت الضوضاء في فرنسا بسببه دعا كبير تلك الاسرة نجلاً له وسأله قائلاً يابني ما بالهم ينسبون الى المسيو رنان ما ينسبون . اخبرني عن اعتقاده . ولنبدأ اولاً بالأب . هل يعتقد بالله . فاجاب الفتى : اما في هذا فانه وطيد الايمان . فاجاب ذلك الشيخ الكريم : هذا شيء كثير هذا شيء كثير » وقد اورد رنان هذه القصة لاثبات ايمانه

وحدَّث في الشهر الماضي احد كتَّاب الدبيا فقال : بعد دفن اخت رنان في جبيل (لبنان) كان رنان يستدعي الكهنة لاقامة القداسات عن نفسها . ولما قيل له في ذلك اجاب انني استنزل عليها بركة شيوخ صالحين كهؤلاء الشيوخ واحول بذلك دون اهانة قبرها بعد سفري اذا سُمع هنا عني شيء يكرهونه

وقال في مقدمة كتابه « اوراق منثورة » « هل الحاجة الابدية التي في ضمائرنا الى ما وراء الطبيعة هي وهم وخيال ؟ كلا ثم كلا . فان من ينفي ذلك نفياً قطعياً مَثله مثل من يُثبت ذلك اثباتاً قطعياً . لانه اذا كان لم يثبت عقلياً ان للكون نفساً فايضاً لم يثبت انه ليس هنالك نفس له . فكل ما نعلمه اننا لا نعلم شيئاً . هذا كل ما نقدر ان نقوله عما وراء الطبيعة . فلا ننكرنَّ شيئاً ولا نثبتن شيئاً . بل فلنتمسك بالامل »

وقال في موضع آخر « ان نفسي ستسكن بعد وفاتي في خرائب كنيسة القديس مخائيل بشكل طائر البحر الابيض . وسيبقى هذا الطائر حائماً في الليل حول ابواب الكنيسة ونوافذها تائهاً عن المدخل شاكياً متألماً . وهكذا تبقى نفسي المسكينة حائمة متألمة حول هذه الاكمة الى الابد . فيقول عنها الفلاح حين مروره بها انها نفس كاهن يطلب الدخول الى الكنيسة لتلاوة قداسه » قال محرر الدبيا بعد ايراده هذه الشذرة « ولكن يا للاسف انه لا يجد ابداً اولاداً يخدمون هذا القداس »

والآن اليك ما قاله في معلميه واساتذته وكلهم من رجال الاكليروس لانه كان راهباً في شبابه « كان اساتذتي يعلمونني ما هو افضل من الانتقاد والاستنباط الفلسفي . ذلك انهم كانوا يعلمونني حب الحقيقة واحترام العقل والمعيشة الجدية . وهذا هو الشيء الوحيد الذي لم يتغيَّر فيَّ . ولقد صرت بتربيتهم لا اقدر على شيء من الحياة الزمنية فانصرفتُ الى الحياة الروحية . وصرت ارى كل عمل مأجور عملاً دنيئاً . فيا اساتذتي الاعزاء الذين مات اكثرهم الآن . انني اراكم احياناً في احلامي ولكنني اراكم كتذكار حلو عندي لا كتبكيت وتوبيخ . فانني لم اخنكم بقدر ما تظنون . نعم قلتُ ان تاريخكم غير كافٍ وفلسفتكم اضعف من الفلسفة التي تعلمنا ان لا نقبل « شيئاً خاصاً وراء الطبيعة » ومع ذلك فانني لا ازال تلميذاً لكم . فانني مثلكم اعتقد ان الحياة لا قدر لها ولا قيمة الا بصرفها في الاخلاص والحقيقة والخير . الا انكم تفسرون هذا الخير تفسيراً ضيقاً وتجعلون هذه الحقيقة مادّية مجسمة وان كنتم مصيبين من حيث اساس الموضوع . فانا اشكركم لانكم طبعتم فيَّ كطبيعة ثانية ذلك المبداء الذي قد يمنع نجاح الانسان الدنيوي الا انه ينيله السعادة

والراحة وهو ان الانسان عليه ان ينصب امامه غرضاً شريفاً يسعى اليه في الحياة سعياً مجرداً عن المصلحة الخصوصية ،،

هذه هي مبادئ رنان وافكاره الدينية ولا ريب ان كثيرين من القراء يدهشون من بعضها لما يقرأونه عادة من طعن المتحاملين عليه لاغراض مختلفة . ولكن الغرض مرض لا دواء له

***

التمثال والاحتفال ولما دخل ١٤ سبتمبر كان تمثال رنان منصوباً في ساحة تريجيه فخف الوزراء والعلماء والكبراء في فرسا للاحتفال برفع الستار عنه . وهذا التمثال يمثل رنان جالساً على مقعد في تريجيه كما كان يجلس عادةً وهو في سن الستين وفوقه ،، بالاس آثينا ،، الاهة الحكمة عند اليونان تحمل اكليلاً لتضعه على رأسه وقبعته الى جانبه وعصاه في يده وهو غائص في بحر التفكر والتأمل في الحياة والكون والانسان حسب عادته . وهذا التمثال من صنع النقاش جان بوشه . وقد قامت تريجيه وقعدت في ذلك اليوم لكثرة المتوافدين عليها . وحدث بين حزب رنان والحكومة وبين الحزب الاكليريكي الملكي شيء من الاضطراب ولكن من حسن الحظ غلّب الفريقان العقل على الجنون فانتهى الامر على احسن حال . وكانت الحفلة تحت رئاسة المسيو كومب رئيس الوزراء والمسيو شوميه وزير المعارف العمومية . ولما رُفع الستار عن التمثال صفق الحاضرون وهتفوا فتلت حينئذ المدموازل مارينو ،، صلاة رنان على الاكروبول ،، التي ترجمناها بعد وهي ابلغ ما كتبه الفيلسوف . ثم شرعوا في الخطب . وهي ست (الاولى) للمسيو كيس رئيس جمعية ،، البريطانيين الزرق ،، صاحبة التمثال . (والثانية) للمسيو كيلرم شيخ تريجيه (والثالثة) للمسيو شوميه وزير المعارف بالنيابة عن الحكومة والجمهورية (والرابعة) للمسيو برتلو الكيماوي المشهور صديق رنان الحميم بالنيابة عن جمعية العلوم (والخامسة) للمسيو اناتول فرانس الكاتب الكبير الذي خلف رنان في فرنسا برقة العبارة والجراءة (والسادسة) خطبة شكر تلاها المسيو بسيشاري صهر رنان . وكانت قرينته مدام بسيشاري ابنة رنان حاضرة الى جانبه

***

صلاة رنان على الاكروبول قلنا انه تلي في الاحتفال ،، صلاة رنان على الاكروبول ،، والاكروبول قلعة اثينا القديمة وهي مزينة بالهياكل وتماثيل الالهة بينها تمثال الالاهة ،، آثينا ،، ابنة جوبيتير الاهة العقل والحكمة . وهذه الالاهة كانت حامية اثيناعند

اليونان وباسمها سميت المدينة . فلما زار رنان اثينا في عام ١٨٦٥ وشاهد جمال هذا التمثال البالغ حد الكمال دُهش واصبح يعتقد بان الكمال من هذا العالم حتى لقد سمى تلك المصنوعات « معجزات يونانية » حقيقية وصار يستصغر كل تمدن دون تمدنها . ولاعجابه بها كتب الصلاة التي تقدم ذكرها . وقد تطرف رنان في هذه الصلاة لانه كان يخاطب « الاهة العقل » بالعقل فقط اي انه وضع القلب جانباً كما قال فيها . وان هذا القلم قد سجد عشرين مرة لقلم رنان الساحرين ترجمتها لعله يغفر له تقصيره في نقل ابلغ كلام صاغته نفس بشرية . وهذه ترجمتها ملخصة طبقاً للاصل الا في موضعين او ثلاثة اختصرناها فراراً من التطويل

من رنان الى الاهة العقل والحكمة

وهي الاهة «آثينا» المصوّرة في صدر الجزء تكلل الفيلسوف

«يا مثال النقاء والجمال الساذج الحقيقي . يا ايتها الالاهة التي يُتقرَّب اليها بالحكمة والعقل . يا من هيكلها عبارة عن مثال ابدي للاخلاص والمعرفة . لقد ابطأت في الوصول الى هيكل اسرارك . وانني جئت اليك بضمير متألم . ولم اتوصل اليك الا بعد ابحاث لا نهاية لها . انك كنتِ بابتسامةٍ منكِ تمنحين الاثينوي حين ولادته قوة معرفتك والاشتراك معك اما انا فما حصّلتُ هذه القوة الا بالتفكر والجهد الشديد

لقد ولدتُ ايتها الالاهة ذات العينين الزرقاوين في بلاد السيمريين وهم قوم كرام فضلاء يسكنون على شاطئ بحر مزبد مغطى بالصخور . وكان اجدادي يشتغلون بالسفر في الابحار البعيدة التي لم يصل اليها قومك الارغونوتيون . ولما كنت صغيراً كنت اسمع منهم الاغاني التي كانوا ينشدونها في الاسفار القطبيّة . فشببت عليها وعلى اقاصيص الثلوج المتحركة والابحر التي يغطيها الضباب كانها من اللبن والجزر المأهولة بطيور تنشد في اوقات معينة وتطير الى الفضاء معاً فتحجب وجه السماء

وقد رباني كهان دين غريب جاءنا من سوريي فلسطين . وكان هولاء الكهان عقلاء حكماء فعلموني قصصاً طويلة عن « خرونوس » الذي خلق الكون وعن ابنه الذي جاء العالم كما قالوا . اما هياكل هؤلاء الكهنة فهي اعلى من هيكلك ثلاث مرات وهيئتها كهيئة حرش ولكنها ليست وطيدة لانها تنهدم كلما مرَّ عليها ٥ او ٦ مائة سنة . فهي من صنع البرابرة (١) الذين يظنون انه يمكن صنع شيءٍ ثابت بغير القواعد التي وضعتيها يا الاهة العقل . ولكن تلك الهياكل كانت تعجبني . فانني لم اكن درست فنّك الالهي بعد . فضلاً عن

(١) كان قدماء اليونان يسمون برابرة كل من عداهم من الناس

انني كنت اجد « الله » فيها . وكانوا يغنون فيها اغاني ما زلت اذكر بعضها . منها « السلام عليكِ يا نجمة البحر .. يا ملكة الذين يتألمون في هذه الدنيا دار الدموع » او « يا وردة رمزية . يا برج العاج . يا بيت الذهب . يا نجمة الصباح » ـ انظري ايتها الالاهة . انني حينما اتذكر هذه الاغاني يتفطر قلبي حنواً واكاد اجحدك . فصفحاً عن هذا الضعف المضحك . انك لا تقدرين على فهم السحر الذي اودعه السحراء البرابرة في هذه الابيات الشعرية ولا ان تدركي مبلغ ما اعانيه حين سماعها لاتمكن من اتباع العقل المجرد وحده

ثم انك لا تعلمين كم صارت خدمتك صعبة في الارض . فان كل استقامة ذهبت منها . وقد ملك السكيثيون (١) العالم ولم تبقَ فيه جمهوريات مؤلفة من اناس احرار . بل كل ما فيه ملوك خرجوا من دم ثقيل . جلالات لو وقع نظرك عليهم لضحكتِ منهم . وكذلك مدعون نبلاء يسمون « خفيفي الرأس » كل من يخدمك . وقد تألف من كل الصغائر والدنايا عصبة طوقت العالم بلفائف من رصاص تكاد تخنق النفوس . حتى الذين هم انفسهم يخدمونكِ كم هم يستحقون شفقتك . هل تذكرين ذلك المكدوني الذي جاء منذ ٥٠ عاماً وحطم هيكلك بالمطارق ليحمله الى « طوله » ؟ ان جميع الذين يخدمونك اليوم يصنعون صنعه ... فلقد كتبت بحسب القواعد التي تحبينها ايتها الالاهة تاريخ حياة الاله الشاب الذي خدمته في صباي فعاملوني معاملة افيميروس . وقد صاروا يكتبون لي ويسيئون لي . ماذا اقصد بذلك . فكأنهم لا يرون فائدة الا في ما يثمر لهم ثمراً مادياً . ولكن يا ايتها السماء . اسأل لماذا يكتب الناس تواريخ الالهة . اليس ذلك لتحبيب ما فيهم من الروح الالهي الى الناس واظهار ان هذا الروح لا يزال حياً في قلب الانسانية وسيبقى فيه الى الابد

او تذكرين ايتها الالاهة ذلك اليهودي الصغير الدميم الذي كان يتكلم يونانية السوريين والذي جاء الى هنا في عهد ديونيزودوروس فطاف في ساحات هيا كلك دون ان يفهمك وقراء النقوش التي على آثارك قراءة معكوسة فظن انه وجد في دائرتك مذبحاً مقاماً « لاله مجهول » ـ الا فاعلمي الآن ان هذا اليهودي قد تغلب على العالم . ولقد انقضى الف سنة يا ايتها الحقيقة وهم يسمونكِ وثناً . لقد انقضى الف سنة والعالم شبيه بقفر قاحل لا تنبت فيه زهرة . ففي ذلك الزمن كنتِ ساكتة خرساء يا نفير الفكر البشري . وكان من يحبك حينئذٍ يُحسب جانياً يا الاهة النظام ومثال القرار السماوي . حتى اليوم وقد

---

(١) السكيثيون قبائل متوحشة كانت في عهد اليونان

افرغنا الجهد للاقتراب منك بعد متاعب شاقة صاروا يتهموننا باننا جنينا على العقل البشري بكسرنا قيوداً كان افلاطون نفسه في غنى عنها

انت وحدك فتية طاهرة نقية ايتها العذراء الجميلة . انتِ وحدك قوية يا الاهة النصر . انت وحدك تحفظين المدن وتحرسينها . فان لك من « المريخ » كل ما يلزمك من القوة . ولكن لا غرض لك غير السلام . فيا واضعة الشرائع العادلة . يا ايتها الديموقراطية التي مبدأها الاساسي ان كل خير هو آتٍ من الشعب وان كل مكان ليس فيه شعب يوحي الى النفوس عظائم القرائح فليس فيه شيء — علمينا كيف نستخرج « الماس » من الجموع الجاهلة . ويا عناية جوبتير . يا امّ كل الصنائع . يا حامية العمل . يا ايتها الحكمة ابنة زفس المتحدة في جوهر ابيها . يا ايتها النار التي تشعل نفوس الابطال واصحاب القرائح العظمى . اجعلينا روحيين نفساً وجسداً . — يا ايتها الالاهة . لما تخاصم فيك الاثينويون والرودسيون اخترتِ الاقامة بين الاثينويين لانهم اكثر حكمة . فانزل ابوكِ على الرودسيين الاله بلوتوس في سحابة ذهبية مكافأةً لهم على اجلالهم ابنته . فصار الرودسيون اغنياء . اما الاثينويون فانهم صاروا حكماء واكتسبوا البشاشة والذكاء اي اكتسبوا السرور الابدي وطفولية في القلب دائمة

ان العالم ايتها الالاهة لا يخلص الاّ اذا عاد اليكِ ونبذ صلاته البربرية . فلنركض اليكِ ولنأتِ افواجاً افواجاً . يا له من يوم جميل يوم تأتي كل المدن التي اخذت انقاض هيكلك كالبندقية (فنيسيا) وباريز ولندن وكوبنهاغ وتردّ تلك السرقة معتذرةً بقولها « عفواً ايتها الالاهة ما اخذناها الا لحمايتها من شياطين الليل » وهكذا يعيدون بناء جدرانك على نغم المزمار تكفيراً عن جناية ليزاندرس (١) ثم يقصدون سبارطة للعن تلك الارض التي صدرت عنها اغلاط مظلمة ويهينونها لانها لم تعد موجودة

انني اؤمن بك ايتها الالاهة ومتى كنت قوياً فيك فانني اقاوم كل نصح يغرني . اقاوم ارتيابي الذي يجعلني اشكّ في الشعب . اقاوم اضطراب فكري الذي كلما وجد الحقيقة لا يكتفي بها ويدفعني الى البحث عنها ايضاً . اقاوم هوسي الذي يمنعني من الرضى بحكم العقل كل ما حكم العقل حكماً قاطعاً ويحرم نفسي الراحة . فيا مثال الكمال الذي يبثه اصحاب القرائح العظمى في مصنوعاتهم الكبرى انني افضّل ان اكون الاخير في منزلك على ان اكون الاول في سواه . فاعلمي انني ساوقف نفسي على خدمتك واربط روحي في هيكلك . سانسى كل

(١) هو قائد اسبرطي تغلب على الاثينيين

نظام غير نظامك واجعل غرفتي بجانب غرفتك . بل اعظم من ذلك انني ساجعل نفسي (اذا قدرتُ) متعصبًا متحيزًا اكرامًا لك . فلا احب شيئًا غيرك . وهوذا انني ساتعلم لغتك وانسى كل لغة سواها . سا كون ظالمًا لكل شيءٍ لا يتعلق بك . ساجعل نفسي احقر خادم لاحقر ابنائك . سامدح سكان ارضك واحب فيهم كل شيءٍ حتى عيوبهم . ساقنع نفسي بانهم من سلالة اولئك الفرسان الذين يحتفلون فوق علي رخام نقوشك بعيدهم الابدي . ساسلخ من قلبي كل شيءٍ لا يكون عقلاً وصناعة مجرَّدة . ساعدل عن حب امراضي والارتياح الى الحمى التي تحرقني . فساعديني يا ايتها الالاهة وانقذيني

ولكن كم من المصاعب تعترض طريقي . فانني ساضطر الى تغيير عادات عقلية كثيرة ونبذ تذكارات جميلة من نفسي . فساجرب ذلك وان كنت غير واثق من نفسي . ذلك لانني ابطأت في معرفتك يا ذات الجمال الكامل فاخشى ان يعاودني ضعفي . ان فلسفة فاسدة جعلتني اعتقد ان الخير والشر . واللذة والالم . والجميل والدميم . والعقل والجنون — كلها تتحول وتتداخل بعضها في بعض بطرق خفية لا تُدرك كما ان الناظر لا يدرك مطاوي عنق الحمامة . وحينئذٍ تصير الحكمة في ان لا يحبّ الانسان شيئًا مطلقًا ولا يبغض شيئًا مطلقًا . فانه لو كانت احدى الهيئات الاجتماعية او احدى الديانات او احدى الفلسفات قد حازت الحقيقة المطلقة لكانت تغلبت على ما بقي وعاشت وحدها في عصرنا الحاضر . اذ افكل الذين ظنوا ان الحقيقة في جانبهم منذ البدء حتى اليوم قد اخطئوا في هذا الظن وهذا امر واضح كل الوضوح . فهل من الحكمة ان نعتقد نحن في نوبتنا ان الحق في جانبنا وان المستقبل لا يحكم علينا كما نحكم على الذين تقدمونا . — هذه هي المسبّة التي تجول في فكري الفاسد . ان الاشياء اذا كانت صحيحة سليمة من كل جهة مثلك فانها تدعو الى الملل والسآمة

انكِ تضحكين من سذاجتي . ولكن قلت واقول الملل والسآمة . فان عقولنا فسدت وما الحيلة . بل انني اقول لك اكثر من ذلك ايتها الالاهة المستقيمة واطلعك على حقيقة فساد قلبي . عندي ان العقل وسلامة الحكم لا يكفيان . لان في نشوة « التراس » وجليد « السثريمون » شيئًا من الغزل لا يوجد في سواها . وسيأتي زمن يكون فيه تلامذتك تلامذة السآمة . ان العالم اكبر مما تظنين . ولو انك شاهدت ثلوج القطب واسرار السماء الجنوبية فان جبهتك لا تكون صافية هادئة الى هذا الحدّ . ورأسك حينئذٍ يتسع اكثر فيسع ضروبًا من الجمال مختلفة

انت الحقيقة . انت كاملة نقية لا لطخة على بِلاطك . ولكن هيكل هاجيا صوفيا في

بيزانس (١) بآجره وجدرانه يحدث في النفس تأثرًا الهيًا مثلك . فانه رمز الى قبة السماء . ومع ذلك فانه سينهدم . ولو كان بيتك واسعًا حتى يسع الجموع مثله لانهدم ايضًا .

ان نهرًا واسعًا يحملنا كلنا الى هاوية النسيان الهائلة . فيا ايتها الهاوية . . ان دموع كل الشعوب دموع حقيقية . واحلام كل الحكماء فيها شيء من الحقيقة . وكلُّ شيء في هذه الارض ليس الاَّ رمزًا وحلمًا . فان الالهة تمرّ وتذهب كالناس . وليس يحسن ان تبقى ابدية . والايمان الذي كان للانسان لا يجب ان يكون له قيدًا . فانه متى لفه باعتناء في الكفن الارجواني الذي ترقد فيه الالهة الميتة يكون قد وفاه حقاه »

هذه هي صلاة الاكروبول التي هي اشهر ما كتبه رنان . ومما يحسن ذكره هنا ان جمعية العلوم في باريز ارسلت الى اثينا في العام الماضي احد اكابر المصوّرين الباريزيين فصوّر في الاكروبول رنان بحجمه الطبيعي واقفًا امام الالاهة (اثينا) وباقي الآثار يتلو لديها صلاته المذكورة

***

جواب الالاهة على صلاة رنان وقد ذكرنا ان المسيو اناتول فرانس الذي خلف رنان بفرنسا في رقة العبارات وعذوبة الالفاظ قد خطب في جملة الخطباء . ففي ختام خطبته التي كانت في غاية الجمال جعل الالاهة اثينا تجاوب على صلاة رنان بالجواب التالي « ايها السادة

« لقد اصاب النقاش الذي وضع « آثينا » بجانب رنان . فان هوميروس يخبرنا انها كانت تنزل من السموات الواسعة لتزور الرجال الذين كانت راضية عنهم . وقد زارت عولس غير مرة . وكأنني الآن اسمعها تخاطب صديقها الارضي وتقول

انني الحكمة . ويصعب على الناس حتى افضلهم ان يعرفوني لاول وهلة بسبب الحجب والسحب التي تستر لانني كالسماء غائمة صافية . اما انتَ يا ايها السلتي الظريف فانك طلبتني دائمًا وكلما وجدتني بذلت جهدك في معرفتي . فكل ما كتبته فيَّ ايها الشاعر حقيقي . ان قريحة اليونان انزلتني الى الارض . ولما قضت خرجتُ منها . فجاء بعدهم البرابرة واجتاحوا العالم . وكانوا يخافون الجمال ويحسبونه شرًا . فلما رأوني جميلة شكُّوا فيَّ ولم يحسبوا انني الحكمة . فطردوني . ولكن بعد ليلٍ دام عشرة قرون بزغ فجر النهضة . فنزلت الى الارض

« ١ » هو اليوم جامع آجيا صوفيا في الاستانة

وزرت نصراء الانسانية والفلاسفة في غرفهم الضيقة حيث كانوا يصونون بضعة كتب جميلة في باطن الصناديق . وكذلك زرت المصورين والنقاشين في معـاملهم التي كانت حينئذٍ حوانيت صغيرة . ولما حدث الاضطهاد فضّل بعض انصاري الموت حرقاً بالنار على جحودي . والبعض الآخر تخلصوا من مضطهديهم بالتهكم والمزاح . ولكنهم لم يلبثوا ان نموا وتكاثروا شيئاً فشيئاً . وكان الفرنسويون اول من اقام لي الهياكل . وان قرناً بجملته من تاريخهم قد اهدي اليّ

ومنذ ذلك الحين صار الفكر حراً وأقبل الفلاسفة والعلماء وارباب الفنون على اكرامي . ولكنك انتَ من بينهم كلهم قدمتَ لي على ما اظن العبادة التي هي اشقّ ما يكون وارق ما يكون . ومنك انتَ رُفعتْ اليّ الصلاة التي هي أنقى صلاة واحرّها . فانك على اكروبولي المقدّس حيّيتني اجمل تحية بكلام لم يُصغْ مثله في الارض منذ ذلك الزمن الذي كانت فيه نحل الحكمة تلقي عسلها على شفاه سوفوكلوس وافلاطون

ان الآلهة الخالدة مديونة بشيء كثير للذين يعبدونها . وهي مديونة لهم قبل كل شيء بالحياة . وهذا سرٌّ قد عرفته انت . فان الآلهة انما تستمد غذاءها من الناس . وهي تغتذي من البخار المتصاعد عن دماء الفريسة . ولا ريب انك تعلم ان المقصود بذلك ان حياتها مؤلفة من جميع افكار البشر وعواطفهم . فالناس الكرام الصالحون تكون آلهتهم كريمة صالحة . اما الالهة الشرسة القاسية فلا تكون الاّ للذين تكون عواطفهم ونقدماتهم كذلك . وحقاً قلتَ : ان الآلهة كالبشر غير خالدين . ومنها ما لا يعيش اكثر من الفي سنة

واما انا الالاهة « آثينا » ذات العينين الصافيتين فانني مديونة لك بانني ما زلت حية . ولكني ما كنت لاكتفي فقط بالحياة وطول العمر . فانني اشفق على الآلهـة التي سيفى خلال البخار وبقايا البخور تجرّ ذيل الهبوط . بل انك زدت سيفي جمالي وعظمتي . لقد غذيتني من قوتك ومن مبدائك . وبكَ وبمن يشبهك اتسعت دائرة عقلي حتى صار يسع عالمَ كبلر ونيوتن

لقد ولدتُ ذكيةً في بلاد اليونان السعداء . وفي صباي اكتشفت من النواميس والشرائع ما لم يعلم به الاله الذي طردني . ولكن العالم كان يومئذٍ صغيراً . فانني ما كنت اعلم من الهندسة الا ما كان يعلمه اقليدس ولا من الطب الا ما كان يعلمه ابوقراط ولا من علم الفلك الا ما كان يعلمه اريسترخس من جزيرة صاموس . ولم تكن عيناي تقعان الاّ على بحر الاتيك وجباله البنفسجية التي ينمو الزيتون فيها . ولم اكن اعرف من البرابرة غير

السكيثيين . وكنت اظن ان السفن الفينيقية الراسية في مياه البيره هي تجارة الدنيا كلها . وقد كنت متشرعة فانني من شاهق صخرتي المقدسة هذه كنت احكم على بضعة الوف من الاحرار البلماء . وكانوا يصورونني على كتب القضاء بجمال جامع بين السذاجة والرقة وهو لا يزال يفتن ناظريه حتى اليوم . نعم يا رنان . انني استحق الاسماء التي سميتني بها . كالاهة السلام . وحامية العمل . والديموقراطية . والنصر . ولكن قل لي اية نسبة بين مدننا القديمة والامم العظمى التي في هذا العصر . فالحكماء اليوم قد كشفوا عن ناظري وارونى ما لا نهاية له من العوالم . فرأيت على ارضٍ ترتجف من نفخ البخار وصدم الكهرباء امماً عديدة عددها مليار وستمائة مليون شخص كانت امس بعضها اعداء لبعض وهي اليوم بعضها اقرب من بعض مما كانت وكلها مندفعة للعمل في الصناعة والعلم يشتغل بعضها لبعض او بعضها ضد بعض متحاسدة متباغضة متزاحمة

ولكن ترى كيف تكون نهاية هذا الزحام والنزاع بين كل تلك القوى المتعددة والاهواء المختلفة ؟ من يكون الغالب في الخاتمة ؟ الحب ام البغض ؟ الجهل ام العلم ؟ الحرب ام السلم ؟ الهمجية ام المدنية ؟ قوات الذين سميتهم « ملوكاً خرجوا من دم ثقيل » ام قوة الديموقراطية ؟ ـ لا تسلني عن ذلك يا رنان . فان المستقبل محجوب حتى عن الذين يصنعونه . لا تسل كيف تكون حالة المستقبل ولكن كن على ثقة من انني سابنيه وحدي . ذلك لانه لا مهندس ولا بنّاء غيري . ولم يستدعني الفلاسفة والعلماء الى الارض عبثاً . فانه بينما يشتغل الجبابرة اعداء الآلهة العادلة بصنع الاسلحة ووضع الجبال بعضها فوق بعض اكون انا مدينة المستقبل المقدسة وان كان الحكماء انفسهم لا يرون ذلك ويشكون في انني ابنيها . ولكن المستقبل سيعرف ابنيتي هذه من قوتها ومتانتها لان مباني الجهل والضلال لا تلبث ان تنهدم من نفسها . وانك ذكرت ذلك يا رنان وقلت ان لا شيء يدوم و يبقى الا اذا كان منظماً بيديّ بحسب قواعدي . ذلك لانني امُّ الاحتياط والنظام . ذلك لانني فكر كل ذي فكر وعلم كل ذي علم . بل فكرك وعلمك يا صديقي رنان

فكن مطمئناً واقتبل الآن من يدي غصن الذهب الذي استحقه جدك وكدك . عش مجدداً معظماً في انقى القلوب واقوى النفوس . احيَ فيَّ لاحيى فيك يا اعظم اصدقائي . فلقد نلتَ الخلود الذي كنت تصبو اليه . وكل ما ابرزته نفسك من الجمال والخير لا يذهب شيء منه سدى بل يبقى الى الابد . فان الانسانية لا بدَّ ان تحقق احلام الحكماء شيئاً فشيئاً وان كان سيرها بطيئاً » ـ انتهت خاتمة المسيو اناتول فرانس

الخاتمة

هذا ما رأينا ذكره عن الفيلسوف رنان في هذا الفصل. وليس غرضنا منه سوى الاشتراك في اكرام هذا الفيلسوف العظيم الذي خدم البشر في الارض بكل قوى عقله الفائق وفطرته الخارقة العادة وان كان قد تطرّف في ذلك تطرفًا حسابه بينه وبين الله وحده

وان قيل ما فائدتنا من هذه المقالة فالجواب لنا فيها فائدتان مهمتان. (الاولى) من حيث لغة رنان (والثانية) من حيث فلسفته

﴿ الفائدة الاولى ﴾ اما الفائدة الاولى وهي من حيث اللغة فهي لا تخلو من اهمية للكتّاب الشرقيين. ذلك ان رنان من حيث اللغة هو ممثّل الكمال والجمال فيها بين جميع كتاب العالم. فلغته ارقّ وابلغ لغة خطها بنان انسان والفرنسويون كلهم مجمعون على انه ابلغ كتابهم من يوم وجود اللغة الفرنسوية الى اليوم. ولكن بلاغة رنان خاصة به. فان الطفل يقرأ كلامه ويفهمه بسهولة دون ان يحتاج ان يفتش عن كلمة في قاموسه. وكان رنان حينما يبالغون في الاعجاب بلغته الحلوة السهلة البسيطة يتعجب من مبالغتهم ولا يفهم اعجابهم هذا. وسبب ذلك ان هذا الاسلوب كان طبيعيًا فيه وبما انه لم يكن يتعب في صوغه فقد كان يستهينه ويظنه امرًا سهلاً على غيره. فبلاغته اذًا كانت مصوغة من مادتين: الاولى الفاظ سهلة بسيطة مألوفة الاستعمال يفهمها كل الناس حتى الاولاد والاطفال. والثانية رقة خصوصيّة في نفسه تبث الحياة في تلك الالفاظ وتجبلها بحلاوة تسكر النفوس ولو كان الموضوع من اصعب المواضيع الفلسفية والتاريخية والعلمية مبقيةً له كل ما يلزم من السهولة والبساطة لسرعة الفهم

وعلى ذلك فحقيقة البلاغة ليست في قواميس اللغة وكتب الادب ليذهب الطلاّب ويفتشوا فيها عنها بل هي في الطبيعة نفسها اي طبيعة الكون الجميلة وطبيعة نفس الانسان اي في باطنه. فمن لا يملكها في نفسه فعبثًا يطلبها في الكتب. فانها حسناء ذات دلال لا تُسبى الاّ مرة واحدة وذلك حين نزول الانسان من جوف امه. فالبلاغة اذًا عبارة عن حسن فطري باطني اي نفسيّ كما ان حسن الوجه حسن خارجي. وربما كان هنا شيئًا من الفرق والاختلاف بين البلاغة الافرنجية والبلاغة العربية لاعتماد هذه على الالفاظ وتنميقها اكثر من اعتماد تلك على ذلك. واذا كان هذا الرأي صحيحًا فهو عثرة في سبيل البلاغة العربية. ولكن من حسن الحظ ان هذه العثرة قد اخذت تزول بعد ان طما على اللغة العربية سيل البلاغة اليونانية في عصر النهضة العباسية والاندلسية الاولى وبلاغة الافرنج في هذا العصر وان

كانت هذه مصدرها تلك ايضاً . ولذلك صار اصحاب الذوق يستملحون البلاغة الافرنجية كصلاة رنان على الاكروبول المنشورة آنفاً وغيرها . وفي الحقيقة ان هذه الصلاة الفلسفية هي ادلّ الاقوال على حقيقة البلاغة الافرنجية . ويا ليت الذين يختارون بعض الترجمات السقيمة لافكار بلغاء الافرنج ثم يحكمون بركاكة لغتهم بالنسبة الى اللغة العربية يجيلون النظر في معاني رنان في صلاته هذه وحينئذٍ يعرفون حقيقة البلاغة فتعاف نفوسهم بعدها كل لغةٍ لا تكون قريبة منها كما يعاف آكل السكر الثمر المرّ بعده . ويعلم حينئذٍ الذين ينسبون الى اللغة العربية القصور عن مجاراة لغات الافرنج انهم ظلموها بذلك لان القصور هو في اسلوبها البدوي القديم الذي لا ينطبق على حاجات العصر لا فيها نفسها . لانها لم تخرج عن كونها لغة سامية رقيقة بعبّرها عن كل العواطف الجميلة متى هُجر ذلك الاسلوب وحلّ محله الاسلوب الذي سموه « افرنجياً » وهو في الحقيقة طبيعي ازلي لانه سبق الافرنج واليونان والرومان ووجد مع الانسان اول بلاغته

﴿الفائدة الثانية﴾ هذا ما نستفيده من حيث اللغة من قراءة هذا الفصل حين الوقوف على كلام رنان الساحر . اما ما نستفيده من حيث فلسفته فهو اهمّ من ذلك بكثير

قال رنان في آخر حياته في احدى خطبه وهو من اشهر اقواله . « وددت لو يكون قبري في وسط دير . ولكن الدير فرع عن الكنيسة والكنيسة لا تريدني وان كانت مخطئة في ذلك . واودّ ان يحفروا على قبري هذه العبارة « لقد احبّ الحقيقة » اجل انني احببت الحقيقة وطلبتها وسعيت وراءها الى حيث كانت تدعوني دون ان التفت الى ما اعانيه في سبيلها . ومما لا يحتاج الى بيان ان سرّ الكون لم ينجلِ لاحد بعد . وليس هنالك احد على ثقة من انه وجده . فان اللانهاية التي تحيط بنا وتضغط علينا لا يحيط بها علم وهي تتملّص من كل حدٍّ وقيد . ولكن هنالك شيء واحد يستطيع الانسان تأكيده ويكون على ثقة منه وهو حسن نية القلب . ولقد عملت ما عملت بحسن نية . واني اقسم على صدق هذا القول بموتي الاخير في يوم الدينونة » وقال في موضع آخر « متى وجدتُ في اثناء بحثي تعليماً او مبادىء تعترضني وتسد الطريق في وجهي فانني احكم عليها بالضعف واعرض عنها لانني اريد اللانهاية ولا اقبل شيئاً غيرها »

فيظهر من هذا ان غرض رنان انما كان طلب الحقيقة المجردة بقواه العقلية دون اعتماد على شهادات الكتب والناس . فاذا اخطأ فقد اخطأ عن حسن نية واذا اصاب فقد اصاب بحسن نية . وكل انسان يطلب ما يشاء بحسن نية اي يطلبه لذاته مجرداً عن المصلحة

الخصوصية فهو معذور ولا شك لانه يتبع ضميره ووجدانه . وبذلك لا تكون صناعة القلم عبارة عن صناعة تجارية يُقصد بها جمع الفكاهات والفوائد التي تُرضي الناس وتدرُّ المال بل تكون — فوق الاهواء وفوق الناس — محكمةً عليا للمبادئ والضمير اذ لا غرض لها الا تقرير الحقائق لذاتها بين الجميع وطلبها حيثما كانت . وحينئذٍ تكون هذه الصناعة صناعة الهية وميزان الله في الارض بين الصغائر والدنايا البشرية

فياموحية هذه الصناعة الالهية يا « آثينا » العظيمة اسمحي لنا بعد صديقكِ العظيم ان نوجه اليكِ رجاءنا وسؤالنا نحن معاشر الشرقيين . وليس لك ان تتكبري علينا كثيرًا فان بيننا رحمًا قديمة . اتذكرين يا ايتها الالاهة اولئك الفينيقيين الاسرى الذين كان يختطفهم بحارة جزائرك في الارخبيل من شواطئ صور وصيداء ويسوقونهم الى بلادك . ان هؤلاء الاسرى كانوا من مساعديك على تمدين قومك وتعليمهم الفنون الجميلة لاول مرة وهم من قواعد نهضتك . ففي عروقك اذًا يا ايتها العذراء الجميلة شيءٌ من دماء شرقية . فنناشدك بحقِّ حرمة هذا النسب القديم ان تبغي الى الشرق جدك القديم شيئًا من سناء نورك العظيم . علينا ان ننسى اهواءنا ومصالحنا الخصوصية لما نضع انفسنا في موضع خدمة المصلحة العمومية . علينا ان نجهر بمعتقدنا ايًا كان ولا نخاف فيه قوات الارض والسماء لئلا نكون خونةً لك ضعفاء جبناء . افهمينا معنى الحق والعدل والواجب والعقل لتتخذها نجومًا تهدينا في ظلمات هذه الحياة وجامعة جديدة تقوم لدينا مقام كل جامعة بدل انقسامنا وتفانينا في تأييد المصالح والجهالة والاهواء . ثبتينا دائمًا في احتقار ملاذّ الارض وموادها لئلا تشغلنا عنك فان تلك الملاذ الباطلة تقتلك وتقتلنا اذا قويت عليكِ وعلينا وحينئذٍ تصبح الارض مستنقعًا نتنًا يسود فيه الاكثر شراهةً والاشدّ قابليّة . افتحي عيوننا لنرى اننا في طلبنا الاصلاح في الشرق يجب ان نكون مخلصين قلبًا وقالبًا مهتمين بالجميع لا بفئة واحدة وان نبدأ باقرب الاشياء الينا اي بانفسنا . واكمالاً لهذا الاصلاح بثي فينا يا ايتها الالاهة القادرة ذلك الروح الذي لا خلاص لنا بدونه وهو روح التساهل المطلق الذي كان صديقك رنان رسوله الكبير . ونعني بهذا التساهل اعطاء جميع الآراء والافكار حق الظهور في الشرق بين الناس لتكمل بذلك الحركة الشرقيّة تمهيدًا للنتيجة العظيمة التي تخرج منها بعد استيفاء فعلها واختمارها . ونحن نرضى هذه النتيجة مهما كانت لاننا على ثقة من انها لا تكون منافضة لروحك روح العدالة والنزاهة الابديّة الالهيّة . واذا كنا لا نشاهدها في زماننا فحسبنا ان يشاهدها احفاد احفادنا ولو بعد عشرين عقبًا